

# من التراث الفلكي لمعلم الأقباط



الرجوع



من التراث الخالد لمعلم الأجيال

الكتاب الرابع: الرجوع

الناشر: المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت

<http://copticlibrary.blogspot.com>

تاريخ النشر: إبريل ٢٠١٢م



مثلث الرحمت

قداسة الابا شنوده الثالث

بابا الاسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية ال ١١٧



## هذه السلسلة

تقدم المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت لقراءها الأعزاء في هذه السلسلة بعضاً من التراث الخالد لمعلم الأجيال وذهبي فم القرن العشرين والحادي والعشرين مثلث الرحمات قداسة البابا شنودة الثالث. الذي أثرى حياتنا، وحياة الملايين من محبيه عبر الأجيال بأقواله وتعاليمه وحياته، فكان مصباح منير، بل شمس ساطعة أضاءت بقوة عالمنا الذي يحتاج دوماً إلى قدوة صالحة تسير على هدى السيد المسيح وتتبع خطواته في الحب والبذل والاتضاع.

وكتابنا الرابع في هذه السلسلة بعنوان «الرجوع» عن مقال نشره الأستاذ نظير جيد (البابا شنودة الثالث) في مجلة الحق عدد فبراير ١٩٤٨م.

نصلي إلى الرب أن ينيح روحه الطاهرة في ملكوت السموات وأن يمتعنا ببركه صلواته عنا.

المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت - إبريل ٢٠١٢م



## الرجوع

تستيقظ يا أخي أحياناً من غفوتك الروحية، فتشمئز من ماضيك وترغب في حياة فاضلة، هكذا تذهب إلى أبيك الروحي وتعترف أمامه اعترافاً صريحاً صحيحاً شاملاً لكل التفاصيل المحرجة المخجلة، ثم ترجع إلى منزلك، وتدخل إلى مخدعك، وتغلق بابك، وتسكب نفسك أمام يسوع انسكاباً كله محبة ورجاء، وتقضي وقتاً طويلاً مع المسيح في تضرعات وتعهدات وتصميمات، راجياً إياه أن يضمك إلى خاصته حتى حيث يكون هو تكون أنت أيضاً، ويطلع عليك الصباح فتتناول من الأسرار المقدسة وأنت تصلي أن تكتسب بذلك قوة ونعمة وغفراناً وتجديداً.

إلى هنا أعانك الرب، غير أن الأيام يا أخي الكريم تمر عليك، وبمرورها يزحف الفتور إليك، وهكذا تنحدر شيئاً فشيئاً حتى ترجع مرة أخرى إلى ماضيك. فما هو سر ذلك

الرجوع؟ أنه يتلخص في النقاط التالية:

### ١- الغرور:

تشعريا أخي أحيانا بثقة كبيرة في نفسك فتعتقد بأنك انتصرت على الخطية انتصاراً نهائياً، وأن اغراءات الخطية أصبحت لا تقوى عليك، ويتخذ الشيطان هذه الثقة لاسقاطك.

مثال ذلك: كنت في مبدأ حياتك الروحية تخاف من قراءة تلك القصة أو المجلة لئلا يكون فيها ما يعثرك، وتخاف من سماع ذلك الحديث لئلا تتأثر به، وتخاف من تأمل ذلك المنظر ومن السير في ذلك الشارع لئلا يكون في ذلك ما يغريك، أما الآن وأنت في غرورك الروحي لا تشعر بشيء من ذلك كله، على اعتبار أنك لا تتأثر به، بل تعتبر نفسك كالمرضى الذي عوفي فأصبح يتناول ما شاء من الأطعمة التي كانت محرمة عليه أثناء مرضه، وهكذا تقرأ وتسمع وتتأمل



## الرجوع

وتسير مثلما شئت، وبالتدرّيج يأتي عليك وقت لا تستطيع فيه أن تمنع نفسك من قراءة تلك المجلة، ومن سماع ذلك الحديث، ومن تأمل ذلك المنظر، ومن السير في ذلك الطريق، ثم يزداد بك التدرّج حتى تأتي عليك فترة تشتاق فيها إلى تلك المجلة وذلك الحديث وذلك المنظر، وذلك الطريق..

وهكذا تكون قد سقطت، نصيحتي لك يا صديقي أن تتواضع، وأعرف أنك لست أقوى من داود الذي لم يحترس في نظراته فسقط، ولست أقوى من شمشون أو سليمان وكلاهما قد سقط تحت تأثير الخطيئة، وإن أردت ثقة فلا تثق بنفسك وإنما بالمسيح.

أعتقد أنك أضعف الناس، وأنتك مهما بلغت من التقوى فما تزال ضعيفاً وتحت الآلام مثلنا، وإنما رحمة المسيح هي التي تقويك، فأطلب تلك الرحمة باستمرار، وكن مستعداً في كل وقت لكي خطيئة بنفس احتراسك القديم.

## ٢- خدمة الآخرين:

خدمة الآخرين هي واجب مقدس غير أن الشيطان قد يستخدمها أحياناً لإسقاطك لأن أسلحة الشيطان مع أبناء الله غير أسلحته مع أبناء الناس.

مثال ذلك: كنت قديماً تمتنع عن الاختلاط ببعض الأشخاص ذوي السمعة المعينة لأنك ترى في أحاديثهم وفكاهاتهم وأعمالهم مالا يليق، ولكنك الآن سمعت من يهمس في أذنيك «ويل لي أن كنت لا أبشر». وبغير وعي اندفعت إلى طريق الخطاة وإلى مجالس المستهزئين حتى تكسب أولئك إلى المسيح، وهكذا عشت بين الأشرار عيشة كانت نفسك البارة تتعذب فيها كل يوم، وكانت أذنك وعينك واحساساتك كلها تكتنز معلومات شريرة كثيرة قد لا يستخدمها الشيطان الآن لإسقاطك، وإنما يحاربك بها في حالة فتورك.

## الرجوع

أنا لا أمنع يا أخي من الخدمة وإنما أطلب منك أن تحترس. وأنصحك بأن تقضي وقتاً طويلاً في الامتلاء قبل أن تفيض على الآخرين. تذكر أن يوحنا المعمدان لم يبدأ خدمته إلا بعد أن قضى مدة طويلة في البرية حتى امتلأ من نعمة الله وقوته، وبولس لم يقل «ويل لي إن كنت لا أبشر» إلا بعد أن وصل إلى درجة كبيرة من التعمق الروحي، وإلا بعد أن دعاه الله قائلاً «أفرزوا لي برنابا وبولس».

فأخدم كما شئت ولكن بعد أن تمتلئ، ثم أنصحك أن تبدأ خدمتك بالعظة الصامتة، أعني أن تكون في تصرفاتك وكلماتك وروحانيتك قدوة للآخرين حتى يقلدوك، وهكذا تكون قد أدت خدمة دون أن تعظ.

ثم عندما تخدم لا تحدث الناس عن نفسك وانتصاراتك على الخطية وإنما أذكر لهم أخبار القديسين، كذلك يجب ألا تندمج في وسط المخدومين اندماجاً كلياً. وإنما احتفظ

## حول التوبة

بكرامتك الروحية اثناء الخدمة، وأن وجدت ما يعثرك فاهرب بسرعة ثم عاود خدمتك في وقت آخر، واحترس ألا يكون في خدمتك دينونة للآخرين أو إثارة لغضبهم أو خدشاً لشعورهم وإنما أخدم بلطف مستخدماً مع كل شخص ما يوافق.

ويحسن جداً ألا تعظ المستهزئين مجتمعين لأن اجتماعهم يعطيهم فرصة لأن يشجع بعضهم بعضاً على الهزء والتهكم، وإنما حدث كلا منهم على انفراد فذلك منتج جداً.

### ٣ - أصدقاؤك القداماء:

عندما كنت في أعماق الخطية كان لك أصدقاء ألفتهم وألفوك، وأحبتهم وأحبوك، وأصبحوا عندك بمثابة الأخوة أو أكثر، ثم عرفت المسيح وسرت وراءه وظلوا هم على طيشهم وضلالهم، غير أن علاقتك بهم لم تتغير، فما زلت تزورهم ويزورونك، وما زالوا صفوتك المختارة تقضي معهم أوقات

فراغك.

هؤلاء الأصدقاء يا أخي خطر عليك، أنك تسمع منهم ما لا ترتاح إليه الأذن المسيحية، وترى في تصرفاتهم ما تشمئز منه النفس المسيحية، وكل ذلك له تأثير عليك. أنهم أن لم يضلوك فعلى الأقل سيمنعونك من النمو، وأحاديثهم ومغرياتهم وقصص طيشهم إن لم تؤثر فيك في نفس اللحظة فعلى الأقل ستطبع في عقلك الباطن وتظهر على شكل أحلام خاطئة، أو أفكار رديئة، أو ظنون سيئة.

كذلك قد يعيد عليك أولئك الأصدقاء قصصك وذكرياتك الماضية الأثيمة التي كانت محبة إليك وقتذاك، ولا أستبعد أن يتولد عندك شبه حنين إليها، ثم أن اندماجك مع أصدقائك القدماء سيجعلك في وسط غير مسيحي تتعرض فيه إلى تجارب متنوعة أن انتصرت في بعضها فقد لا تنتصر في البعض الآخر. أنا لا أنصحك بتجاهل أصدقائك.

وإنما استمر على حبك واخلصك لهم دون أن تندمج في مجالسهم العابثة، أو تستمع إلى أحاديثهم الطائشة، وإن أردت أن تؤثر فيهم فليكن ذلك من بعيد، ثم في نفس الوقت كون لك مجموعة طيبة من أبناء الله الذين تعرفت بهم في حياة القداسة وثق أنك ستجد لذة كبيرة في عشرتهم.

### ٤- الانشغال بالماديات:

يحدث أحياناً أنك تندمج في أمورك المادية اندماجاً كبيراً، وتشغل نفسك طول وقتك بحيث لا تترك لك وقتاً للتأمل، وبحيث ترجع من منزلك مرهقاً متعباً شاعراً بحاجة إلى النوم أكثر من الصلاة. هذه الحالة يجب أن تحترس منها.

كن نشطاً في عملك ولكن حاول أن تترك لنفسك فراغاً وسط العمل المستمر تذكر فيه الله بالصلاة أو قراءة الإنجيل مثلاً، أما أن تنشغل انشغالاً مادياً بحثاً من مطلع الصبح حتى المساء فهذا خطر كل الخطر على حياتك الروحية.

### ٥- اليأس:

طالما أنت في نشاطك الروحي وفي صلتك العميقة بالله وبأبناء الله فمحال أن يتطرق إليك اليأس، ولكنه يزحف إليك في حالات فتورك.

أحياناً تيأس لأنك فقدت بعض فضائلك، ولكن هذه الحالة غير خطيرة لأنه بإمكانك أن تعتمد على المسيح «وتقوي عزيمتك» وترجع إلى فضائلك. ولكن حذار أن تيأس من إمكانية تلك الفضائل فتتخلي عنها أو تشعر بأنها من صفات القديسين فقط. وإنما أعرف أن «كل شيء مستطاع لدى المؤمن» وأن المسيح له المجد قد قال: «كونوا قديسين كما أن أباكم الذي في السموات هو قدوس».

وأحياناً نيأس لسبب أخطر وهو أنك تكون قد ارتكبت إحدى الخطايا بالقول أو بالفكر أو بالنظر. ولم يبق إلا الفعل، ويقودك اليأس إلى ارتكاب الخطيئة فعلاً.

## حول التوبة

أحترس يا أخي من هذا الشعور فإنه سلاح شيطاني، وأعرف أنه إن كان الشيطان قد هزمك في أول جولة فما زالت هناك جولات أخرى كثيرة. فلا تسلم نفسك لضربة قاضية منه. وكما يقول المثل «يضحك كثيراً من يضحك أخيراً».

وأعرف أن حالتك هذه مصدرها ضعف اعترافاتك. لأن الذي ييأس ويرتكب الخطيئة فعلاً هو الذي اعتاد أن يقول لأب اعترافه «أخطأت يا أبي في الخطيئة الفلانية» دون ذكر التفاصيل. أما الذي يعترف بالتفاصيل كلها فيعرف أن هناك فارقاً كبيراً في الاعتراف بين خطية القول أو الفكر، وخطية الفعل...

هناك حالة يأس هي أخطر الحالات، وهي شعور الشخص الذي يقنعه الشيطان بأن سقوطه المستمر بعد كل تناول هو دليل على استحالة تقواه. مثل هذا أقول له إن تناوله المستمر بعد كل سقوط دليل على أن الله يريد أن يضمه إلى خاصته



## الرجوع

والوحي يقول لنا «الصديق يسقط سبع مرات ويقوم» وسبعة هي عدد كامل. ثم أعرف يا أخي أن الأب ذبح العجل المسمن لابنه الضال الذي أنفق أمواله في الفساد.. ولا تيأس.

### ٦- التدرج:

يسقط غالبية الناس نتيجة التدرج، فمثلاً يصلي أحد الأشخاص طالباً الروحيات فقط، ثم يتدرج إلى الروحيات مع الماديات، ثم الماديات فقط، ثم تتحول صلاته إلى مجرد ألفاظ متكررة، إلى أن ينقطع عن الصلاة.

وآخر يقول لنفسه لا أنظر مطلقاً إلى منظر غير لائق، ثم يقول أنظر ولا أتأمل، ثم يقول أتأمل ولا أفكر، ثم يقول أفكر ولا أخطئ. ويكون قد سقط دون أن يشعر أو وهو يشعر، لأن فكر الحماقة خطية كما يقول سليمان.

مثل هؤلاء الذين يخطئون بالتدرج لا علاج لهم إلا ترك الخطوة الأولى في التدرج لأن الذي يخطو الخطوة الأولى تسهل

## حول التوبة

عليه بقية الخطوات إذ تكون عزيمة قد ضعفت. ثم على هؤلاء أن يرجعوا بسرعة إلى حالتهم السامية قبل أن يقودهم التدرج إلى الهلاك.

### ٧- النسيان:

وكثيرون أيضاً يضيعون ضحية النسيان. وأقصد نسيان عهودهم وموآثيقهم أمام الله. وعلاج النسيان بسيط وهو التذكر المستمر. عليك في صلاة باكر أن تشرح ليسوع كل شيء. وتعترف أمامه بكل خطاياك وضعفائك وتكرر أمامه عهودك مرة أخرى مجددة بعزيمة أقوى.

كما يجب أن تقول له: «ساعدني يا رب حتى أكتسب كذا وكذا... من الفضائل، وأنقذني من ضعفاتي التي هي...».

وهكذا تتذكر وتكرر نفس الطلبات والتعهدات في كل صلاة. وهكذا تجعل طلباتك وتعهداتك أمامك في كل حين. تتذكرها بسرعة كلما وقعت في تجربة وكلما اختلقت

## الرجوع

بالآخرين. أما إذا بدأت يومك بغير تلك الصلاة الشاملة فإنه من السهل أن تنسى وأن تخطئ. وتتحمل تبعه نسيانك وخطيئتك.

### ٨- التقصير في تناول:

أشعر دائماً بأن تناول فيه نعمة وقوة وتجديد، ولا تخاف منه مطلقاً، فإن الذين يخافون من تناول هم الذين يحبون الخطيئة ويشعرون بسهولة رجوعهم إليها ناسين النعمة التي يحصلون عليها من جسد الرب ودمه.

أما أنت فاجعل أمامك أن تتناول كل أسبوع فإن هذا سوف لا يعطيك فرصة للخطأ، إذ ستستمر في روحانيتك ولو ثلاثة أيام على الأقل بعد تناول، ثم تنظر فتجد يومين فقط باقين على اعترافك المقبل فتخاف قبل اقتراف الاثم، ويمكنك التجدد قبل أن يلحقك الفتور.. وهكذا.

٩- التحايل:

يقدم إليك الشيطان فضائل مصنعة أو أعداراً براقية لكي يجذبك بها إلى الخطية، فقد يقذف بك كما قلنا إلى مجالس المستهزئين بحجة إنقاذ الخطاة. وقد يدعوك إلى قراءة قصة أو رواية ساقطة بحجة البحث العلمي أو الفائدة الفنية. وقد يقودك إلى إدانة الغير باسم نصحهم وإرشادهم. وقد يبحث على الفوضى والحماسة الطائشة عن طريق الغيرة المقدسة. فعليك أن تحترس من حيل الشيطان ولا تنخدع بها.

١٠- الاضطرار أو الضعف:

وهما سببان زائفان هما في حد ذاتهما خطيئة. فقد تكذب مثلاً بحجة أنك مضطر إلى ذلك لنوال فائدة معينة لا تحصل عليها - في نظرك - إلا بالكذب. وقد يتحايل عليك الشيطان فيقدم لك نوعاً ملتويّاً من الكذب غير الصريح ليكتّم به ضميرك.

## الرجوع

ولكن يجب أن يكون إيمانك بالله أكثر من هذا. وأعرف أن الفائدة التي تأتي عن طريق الكذب أو الغش هي فائدة غير مباركة أو هي ضرر متستر. وأعرف أن الاضطرار ليس بالعدر الذي تعتذر به أمام الله في اليوم الدين وكذلك الضعف.

### خاتمة:

ما دمت يا أخي قد وضعت يدك على المحراث فلا تنظر إلى الوراء. ولا تحف من السقطات والتجارب التي تقابلك في الطريق. وإنما تقدم دائماً. ولا تتخلف عن الركب ولا تفكر في الرجوع. وإن رجعت فتشجع وعاود تقدمك حتى تصل إلى قمة القداسة والله معك.

نظير مبير  
إبسانسيه في التربية والآداب



المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الإنترنت  
<http://copticlibrary.blogspot.com>